اسم الدرس : تفسير سورة الأنعام | ح٥ | الآيات [٣٢ : ٣٩]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نكمل بإذن الله عزَّ وجل ما بدأناه في سورة الأنعام. توقَّفنا عند قول الله عز وجل: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)}سورة الأنعام

الآيات هنا بدأت بقول الله عز وجل: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...(33)} سورة الأنعام . بدأت الآية بحرف التوكيد "قد" تؤكّد أن الله عز وجل يعلم ما يدور في صدر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذه نقطة مهمة للدعاة، الداعية حين يستشعِر أنَّ الله عز وجل يعلم ما يدور في صدره، علم معيَّة.

- حينما يذكر الله العلم

العلم يرد كثيرا في القرآن كقوله تعالى{...وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا(٩)}سورة الأحزاب

والعلم يأتي على صورتين إما علم يعطيك ثقة وطمأنينة أنَّ الله معك {...إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى(٤٦)}طه. أو عِلم تهديد {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ...(٢٣٥)}سورة البقرة.العلم بأن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في صدرك. فهنا الله عز وجل يطمئِن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يعلم ما يدور في صدره {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ(٥١)}سورة الأنبياء. الله عز وجل يعلم ما يدور في صدر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يَحزن بسبب هذا الكلام، فحرف التوكيد (قد) يزيد الطمأنينة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج أن يسمع هذه الكلمات.

- صنفان الأعراض عن آيات الله

الآيات من أول السورة بعد مقدمة الأنعام وبعد الآية الرابعة: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٤٦)}سورة يس. قلنا أنها تتكَّلم عن قمَّة الإعراض عن آيات الله عز وجل،

واستمر معنا في السِّياق بعد ذلك أن أناسًا تُطرح عليهم آيات فيُعرِضون، وقلنا أن هناك صنفان: صنف طلب أولًا نزول آيات، والصنف الثاني ماذا فعل؟ {وَمِنْهُمْ مَنْ...(٢٥)}سورة الأنعام . ماذا؟ {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ...(٢٥)}سورة الأنعام. تظاهر بسماع الآيات. إذًا صنف قال: أنا أريد آية حِسّية، لم تعجبني آية القرآن، وصنف قال: حسنا، سأفكر في آية القرآن هذه وأقيّمها بنفسي، وتظاهر أنه يستمع للآيات.

وقلنا غالبًا إذا قسَّمناهم على هذا الشكل، الصنف الذي يتظاهر بسماع الآيات من هم؟ الأتباع أم المتبوعون؟ الذي يتظاهر بسماع الآيات؟ المتبوعون: أي الرؤساء والقادة الذين يتظاهرون بسماع الآيات، إنما الذين يطلبون آيات حسية هم الأتباع الضعفاء.

هنا قمة الإعراض، فربنا سبحانه وتعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أعلم ما يُحزِنك، وأعلم ما يدور في صدرك، {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ(٣٣)}سورة الأنعام؛ النبي صلى الله عليه وسلم بشر، والرسالة لم تُخرِجه عن بشريتَّه، فاحتاج النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الكلمات يسمعها من الله عز وجل، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج أن يسمع القرآن، فكل الآيات التي في القرآن والتي نزلت على صدر النبي صلى الله عليه وسلم {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(١٩٤)}سورة الشعراء. لن يستطيع أن يتحوَّل ليصبح {...مِن المنذِرين...(١٩٤)}سورة الشعراء. إلا بنزول القرآن على قلبه.

- نزول القران على قلب النبي قوة وثباتا

فنزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيه قوَّة وثباتًا، {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا(٣٢)}سورة الفرقان. إذًا فؤاد

النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج إلى تثبيت من القرآن، {...كَذَلِكَ..(٣٢)} سورة الفرقان. أي نزول القرآن مُنجَّمًا كان سببه {...لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ...(٣٢)}سورة الفرقان. النبي صلى الله عليه وسلم أتقى الخَلق وأطهر الخَلق صلى الله عليه وسلم وأقوى الخَلق صلى الله عليه وسلم وكان يحتاج إلى تثبيت من القرآن، فكيف يكون حالنا نحن؟!

- الداعية والقران

إذًا الداعية الذي سيخوض معركة الإنذار للنَّاس ويواجِه إعراض الناس دون قرآن من المؤكد أنه سيُخطئ، لأن القرآن يجعل الإنسان لديه اتزان نفسي، هذه الآيات عندما تتنزل على صدر الداعية تجعله إنسان لديه اتزان نفسي، فيعرف يتصرَّف التَّصرُّف الصحيح، الإنسان عندما يفقد الاتزان النفسي الخاص به يبدأ في التصرف بعشوائية، يتخبط، يقوم بأي انفعال، يتخذ قرارات خاطئة، تحت الضغوطات قد يوافق على اقتراحات تضيع دينه، ممكن تحت الأذى والتعذيب يقول كلام أو ينطق مثلًا بعقائد ضالَّة، الاتزان النفسي الذي ينزل على الداعية من القرآن يحقق له الاتزان النفسي، هذا الاتزان النفسي يجعل الإنسان يحافظ على الشريعة صافية كما هي.

إذًا النبي صلى الله عليه وسلم في ظِل قمة هذا الإعراض كان يحتاج أن يسمع هذه الآيات، فربنا يقول له: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ...(٣٣)}الأنعام. بالتأكيد، {...لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...(٣٣)}سورة الأنعام، ماذا {...الَّذِي يَقُولُونَ...(٣٣)}سورة الأنعام. نحن معنا هنا في سياق السورة، نرجع لنرى ماذا قالوا؟ عندما ترى من أول السورة إلى هذه الآية ستجد ثلاثة أقوال للمشركين، عندما تقوم بتجميع الآيات من بداية السورة ماذا ستجد أقوال المشركين؟ قالوا في البداية: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ...(٨)}سورة الأنعام، طلبوا آية، مَنْ هذا الفريق؟ هؤلاء هم الأتباع الضعفاء.

- فريق المستكبِرين قالوا شيئين...

القول الأول الذي قالوه هي الآية (٢٥): {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(٢٥)}سورة الأنعام. وهكذا فالقول الأول للضعفاء: طلب الآيات الحسّية.

القول الثاني للمتبوعِين الرؤساء: قالوا على القرآن أساطير الأولين. القول الثالث: على احتماليَّة (وقالوا) –نحن قلنا (وقالوا) هذا الآية (٢٩): {وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا...(٢٩)}سورة الأنعام قلنا إما أن هذه معطوفة على: سيقولون {...أساطير الأولين(٢٥)}سورة الأنعام، وسيقولون {...إن هي إلا حياتنا الدنيا...(٢٩)}سورة الأنعام ، أوأن هذا لو عاد سيقول : {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا..}سورة الأنعام أي لو رُدُّوا لعادوا ولقالوا، وقد وضحنا هذا بالتفصيل المرة السابقة الاحتمالين... إذًا القول الثالث أنهم أنكروا البعث... فهذه الأقوال هي التي أحزنت النبي صلى الله عليه وسلم، حاصلها التكذيب به والتكذيب بالقرآن.

حاصل هذه الأقوال أنهم لا يصدقون النبي صلى الله عليه وسلم؛ يكذّبوه، لأنهم قالوا له نحن لا نصدقك أنزل لنا ملك معك، {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ...(٨)}سورة الأنعام في البداية أو التكذيب بالقرآن؛ ماذا قالوا عن القرآن {...إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(٢٥)}سورة الأنعام. هذه الأقوال كانت تُحزِن النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا كانت تُحزِنه؟ لكي نعرف الآن لماذا يَحزن الداعية؟، ما الذي يسبب هذا الحزن للداعية؟ هل في هذه الأقوال انتقاص من قدر النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا مثلًا؟ ولذلك لا بد للداعية أن تكون معايير حزنه مُنضبطة تمامًا على معايير القرآن، فلا يحزن على أشياء لا تُمثل شيئًا. مهما كانوا يقولون عليك فلا تُعِير لهذه الأقوال أي اهتمام، إنما الداعية يهتم لتكذيب قومه، هذا ما يحزنه، هذا ما يؤثر عليه، هذا ما يجعله يتحرك، الداعية يحزن أنهم رافضين للقرآن، هذا ما يضايقه فلا بد له أن يفعل شيء بخصوص هذا الرفض؛ {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...(٣٣)} سورة الأنعام .وهذا هو الموجود معنا في السورة.

بعضهم قال: الحزن هنا سببه افتراؤهم على الله عز وجل، إنهم ينتقصون من حق الله... ومن شدة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لقدر الله لا يتحمل أن يسمع أي انتقاص من قَدْر الله، فيغضب ويحزن لأنهم ينتقصون من قَدرِ الله سبحانه وتعالى، وبعضهم قال: النبي صلى الله عليه وسلم يحزن لأن هذه الأقوال التي يقولونها ستهلكهم ولذلك هو خائف عليهم، {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ

الَّذِي يَقُولُونَ...(٣٣)}سورة الأنعام، النبي صلى الله عليه وسلم يعلم مآلات هذه الأقوال، ويعلم عاقبة هذه الأقوال، فيخاف إن استمروا على هذه الأقوال فسوف يُهلكوا أنفسهم، ولذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم حزين عليهم.

- الدعوة والداعية والمدعو

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...(٣٣)}سورة الأنعام؛ ولذلك إذًا فالداعية لا يحزن على انتقاص من شخصه، من دنياه، لا... بل هو يحزن فقط على الناس، والآيات القادمة من بداية {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...(٣٣)} سورة الأنعام و{فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ...(٣٥)}سورة الأنعام تبين مدى حِرص النبي صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه صلى الله عليه وسلم؛ {...حَرِيصٌ عَلَيْكُم...(١٢٨)}سورة التوبة النبي صلى الله عليه وسلم حريص لدرجة لو استطاع أن يصعد إلى السماء أو ينزل إلى الأرض لكي يجعل الناس تؤمن لفعلها.(لو أعلم أنني لو زِدتهم عن السبعين استغفار –للمنافقين– لزدتهم عن السبعين)،[١] كان النبي صلى الله عليه وسلم مستعدًا لأن يفعل أي شيء في حدود الشرع حتى يؤمن قومه، هذه أهم صفة من صفات الداعية[[شدة الحرص على الناس]]

هذا الحرص عندما يُفقد وتكون فقط مجرد ناقل معلومات للناس لن تتحمَّل أذاهم، لن تستطيع، لو أنك فقط مقتنع بشيء تحبه وليس عندك هذا الحرص على الناس، وهذا الحرص ليس عريقًا فيك، حرص شديد على الناس، إذا كان غير متأصِّل فيك ستكون المعلومات التي لديك عن الوحي ليست كافية حتى تواجه أذى الناس، لن تتحمل، ستأتي لتكلم الناس ومع أول كلمتين سيواجهوك فتتركهم وتذهب، ستكون مثل الذي دخل حريقًا لينقذ الناس حتى لا يحترقوا فيه،

[١] - عن عمر بن الخطاب [:لَمّا ماتَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، دُعِيَ له رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عليه، فَلَمّا قامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وثَبْتُ إلَيْهِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أتُصَلِّي على ابْنِ أُبَيٍّ وقدْ قالَ يَومَ كَذا وكَذا: كَذا وكَذا؟ أُعَدِّدُ عليه قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وقالَ: أخِّرْ عَنِّي يا عُمَرُ فَلَمّا أكْثَرْتُ عليه، قالَ :إنِّي خُيِّرْتُ فاخْتَرْتُ، لو أعْلَمُ أنِّي إنْ زِدْتُ على السَّبْعِينَ يُغْفَرُ له لَزِدْتُ عَلَيْها قالَ: فَصَلّى عليه رَسولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إلّا يَسِيرًا، حتّى نَزَلَتِ الآيَتانِ مِن بَراءَةٌ} :**وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ منهمْ ماتَ أبَدًا** {[التوبة: ٨٤] إلى قَوْلِهِ **}وَهُمْ فاسِقُونَ** {[التوبة: ٨٤] قالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِن جُرْأتِي على رَسولِ اللَّهِ ﷺ يَومَئِذٍ، واللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ١٣٦٦ • [صحيح] •

وهو يحمل شخصًا من الحريق جعل يضربه ويبعده عنه فتركه وقال له هذا خطأي أني أردت أن أنقذك!!!

الطبيعي أن أغلب من ستأتي لتنقذهم من النار مثلما قال النبي صلى الله عليه وسلم والفَرَاش يتهاوى على النار: (وأنا آخِذٌ بحُجَزِكُم عن النار)[٢] أغلب من يتهاوى على النار عندما تبعده لن يأتي معك بسلاسة، هو يتهاوى على النار مثل الفراش عندما يقذف نفسه على النور! فاعلم أنك ستُقابَل بأذى، هذه سنة...مثلما قال ربنا للنبي صلى الله عليه وسلم لست أنت الوحيد الذي كُذِّبت، ولست أنت الوحيد الذي أُوذيت، هذه سنة ماضية.

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ...(٣٣)}سورة الأنعام ما معنى هذه الآية؟ بعضهم قال: كأن ربنا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم المشكلة التي بينهم وبينك ليست معك حقيقة، إذًا هذه المشكلة مع من؟ هذه المشكلة مع آيات الله! {...فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ...(٣٣)}سورة الأنعام بماذا؟ {...بِآيَاتِ اللَّهِ..(٣٣)} سورة الأنعام.أي أنك لو تخلّيت عن آيات الله ستعود مرة أخرى الصادق الأمين، ما الذي جعل وصفك يتغير عندهم من الصادق الأمين إلى ساحر وكاهن ومجنون؟ أنك تلبَّست بآيات الله، وأصبحت تدعو بآيات الله، فتغيَّر وصفهم لك.

فربنا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم لا تحزن، هم لا يقولون عليك كذاب، هم يعلمون أنك لا تكذب، بدليل أنهم وحتى آخر لحظة وهم ذاهبون ليقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم أو يجتمعون حتى يقتلوه يوم الهجرة، كانوا تاركين للأمانات عند النبي صلى الله عليه وسلم!!! شيء عجيب جدًا! ذاهبين ليقتلوه والأمانات محفوظة عنده. لآخر لحظة هم لا يكذبونك، المشكلة مع آيات الله، وهذا فيه خطورة، بمعنى أحيانًا أنت على قدر ابتعادك عن آيات الله على قدر قُربِك منهم، قال الله عز وجل: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...(١٢٠)}سورة البقرة إذًا رضاهم.. {وَلَنْ تَرْضَى...(١٢٠)}سورة البقرة. المقصود هنا كمال الرضى، هو يظل يرضى

[٢] - [عن جابر بن عبدالله:] مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نارًا، فَجَعَلَ الجَنادِبُ والْفَراشُ يَقَعْنَ فيها، وهو يَذُبُّهُنَّ عَنْها، وأنا آخِذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النّارِ، وأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِن يَدِي.
مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٢٨٥ • [صحيح] •

عنك على قدر قُربِك، وهذا معنى قول الله عز وجل: {...وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا(٧٣)}سورة الإسراء. ستصاحبهم، إذًا عندما يرضوا عنك وعندما يتَّخذوك خليلًا اعلم أنك غيّرت في المنهج؛ لأنهم لن يغيروا في منهجهم... لابد أن طرفًا فيكم غيّر، فلن يحدث فجأة أن تصبحوا أصدقاء،وتجلسوا بجانب بعضكم؛ إلا أن يكون هناك خطأ ما قد حدث.

يقول الله عز وجل: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ...(٩٦)}سورة البقرة هو عنده منهج،[[حرص على الحياة ورفض التحاكم إلى الشرع]] هذا منهج عنده، لأنه إذا وافق بالشرع إذًا هو بدأ يُسلِم، فطالما هو ثابت وأنت ثابت لا يمكن أن تلتقوا، {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٢٩)}سورة النجم، فالعلماء يقولون: لماذا أُعرِض عنه؟ لأنه يستحيل أن تلتقيا، يستحيل! {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(٢٨)}سورة الكهف. فهو صاحب منهج ثابت إرادة الحياة الدنيا، هو ثابت بوضوح على منهجه هذا؛ لا يتغير، فمعنى أنه يرضى عنك ويتَّخذك خليلًا ويوافق على ما أنت موافق عليه، إذًا هنا أكيد إشكالية!!!

المعنى الأول: قالوا: إن مشكلتهم ليست معك، مشكلتهم مع آيات الله. المعنى الثاني قالوا: لماذا ربنا يقول له: {...فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ...(٣٣)}سورة الأنعام .لا تحزن ولا تُتعِب نفسك في طلب الآيات؛ هم قضيتهم مع آيات الله، هولا يقول عليك كذَّاب، وهو يعلم أنك لست كاذبًا، وأنك تتحدَّث عن الدار الآخرة، هو يعلم أنك لست بكذاب ولكنه مَجرَّد جاحد، فتكون هذه الآية شبيهة بآية النمل {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...(١٤)}سورة النمل، فمعنى الرسالة التي تصل للنبي صلى الله عليه وسلم هنا: إن الذي جعلهم يغيِّروا رأيهم فيك آيات الله؛ فاحذر وإياك أن تتركها، هذا معنى.

المعنى الثاني: إن مشكلتهم ليست التكذيب أو عدم الاقتناع، هذه ليست مشكلتهم، فليس الحل أنك تُكثر لهم في الآيات الحسيَّة، هذا ليس حلًا؛ لأنه حقيقةً يعلم أنها آيات الله ولكنه يجحد، لذلك لم يقل: "ولكن الظالمين بآيات الله يُكذِّبون"، قال: {وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ(٣٣)}سورة الأنعام، الذي يجحد هذا يعلم أنه حق ثم يجحد به. إذًا؛ هناك معنيين

يصلان لنا من قول الله عز وجل: {...فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ(٣٣)}سورة الأنعام.

بما أنني تعِبت وبلغتهم بالآيات، ورفضوها وأعرضوا عنها واستهزأوا وسخِروا، ومنهم صنف قال لي: أنا أريد آية حسيَّة، وصنف تظاهر أنه يسمع القرآن وفي الآخر قال: هذا أساطير الأولين، فأنا حزِنت على هذا فماذا أفعل؟ فأنا أمام اختيار من اثنين، ليس أمامي كداعية مع الناس الذين ادعوهم غير اختيار من اثنين: الأول: إما أني أختصر الطريق اختصارًا، وأقفز مراحل كثيرة جدًا، وأقول: حسنًا، ماذا تريدون؟ سيقولون : نحن نريد آية حسيَّة...إذًا سآتيكم بآية حسية، لكن لو لم تؤمنوا بها سينزل العذاب، هكذا أنا اختصرت مراحل كثيرة جدًا وتعجَّلت هلاك الأمة.

الحل الثاني: أني ماذا أفعل؟ أصبر، ماذا سأفعل؟ أظل ثابتًا على المنهج، أظل أدعو و الكثرة ستقابلني بالتكذيب، مع الوقت ناس ستؤمن منهم، الذين سيؤمنون هؤلاء سيكونون عِماد الدعوة ونصرة الدين، يبدؤون ينتشرون في الأرض وينشرون الدين، الدين ينتشر لكن هذه قصة طويلة جدًّا!

أي أنا أمامي اختيار من اثنين:

- اختيار سهل ومريح وسلس، لكن ستكون عاقبته هلاك ملايين من الناس.
- واختيار صعب وطويل وشاقٌّ على النفس، ولكن عاقبته أن ألوف مؤلَّفة من الناس تدخل في دين الله أفواجًا.

أحيانًا الداعية –بالعجلة البشريَّة داخله– يكون مائلًا تجاه الاختيار السريع! كأن يقول: ننتظر وقوع آية عليهم بدلًا من الكلام معهم ثم يُعرضوا، ولا نظل ٩٥٠ عام ندعوهم إلى الله ثم يقابلونا بالتكذيب! فأحيانًا –بعيدًا عن سياق خطاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لنا نحن كدعاة– أو ليس نحن– أقصد الخطاب موجَّه للدعاة؛ أن أحيانًا الداعية يتعجَّل، يمل، يقول: لو آية تنزل

وينتهي الأمر، آية تضطَّر الناس للإيمان، لكن هذا التعجُّل ليس هو السُّنة، فما هي السنة؟ السنة أي السنن الكونية الثابتة، ما هي السنة؟

يقول الله عز وجل يقرر سنة للنبي صلى الله عليه وسلم وللدعاة: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ...(٣٤)}سورة الأنعام.أي طبيعي أن تُكذَّب، حتى لا يقول: ما هذا؟ أنا ذهبت دعوتهم فكذَّبوني! ماذا نقول له؟ هذا متوقَّع، هذه السنة هي الأصل أنهم أولا يُقابلونك بالتكذيب، هذا الأصل في دعوة الرسل {...وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ(٤٠)}سورة هود. هذا الأصل من أول سيدنا نوح. إذًا {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ...(٣٤)}سورة الأنعام. هذه تعلمني أنه ليس معنى أنهم سيكذِّبونني أني أوقف الدعوة؛ لأن أنا أعرف من البداية أن هذا ما سيحدث، أنا نازل آخذًا العدة والعتاد، وأعلم أن أوَّل ما سألقاه هو: التكذيب، ثم السخرية، ثم الإيذاء، أنا أعلم هذا، أنا متوقِّع حدوث هذا؛ {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ...(٣٤)}سورة الأنعام، ماذا فعلوا؟ اختاروا الحل الطويل، اختاروا الحل الذي فيه مُجاهَدة، وفيه صبر وتحمُّل أذى؛ حتى يؤمِن قومهم، أو يؤمن من كتب الله عز وجل له الهداية من قومهم. (ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[٣] هذا اختيار النبي صلى الله عليه وسلم: (لعلَّ الله أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل)[٤]. فالنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه المواقف– وقد أتت له فرصة مناسبة– كان من الممكن أن يختار الأسهل وهو هلاك القوم؛ لمَّا نزل مَلَكُ الجبال–وهو عائد من الطائف – وقال له: (لو شِئت أن أُطبق عليهم الأخْشَبَين)[٥]، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختر الحل السريع، ولكن اختار الحل الذي فيه صبر وتحمُّل أذى ومشقة.

---

[٣] - [عن عبدالله بن مسعود:] كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِياءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، فَهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ، ويقولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ. البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٩٢٩ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢) •

[٤] - ... قالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : بل أرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ من أصلابِهِم مَن يعبدُ اللَّهَ، لا يشرِكُ بِهِ شيئًا .ابن خزيمة (٣١١ هـ)، التوحيد ١/١١١ • [أشار في المقدمة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح]

[٥] - فَناداني ملَكُ الجبالِ: فسلَّمَ عليَّ، ثمَّ قالَ: يا محمَّدُ: إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد سمِعَ قولَ قومِكَ لَكَ، وأَنا ملَكُ الجبالِ، وقد بعثَني ربُّكَ إليكَ لتأمرَني أمرَكَ، وبما شئتَ، إن شئتَ أن أُطْبِقَ عليهِمُ الأخشبَينِ فعلتُ.... . ابن خزيمة (٣١١ هـ)، التوحيد ١/١١١ • [أشار في المقدمة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح]

{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا...(٣٤)} سورة الأنعام.صبروا على أمرين: {...عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا...(٣٤)}سورة الأنعام. من الممكن أن تكون: {...فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا...(٣٤)}سورة الأنعام أي أن ما كذَّبوا متعلقة بالصبر–فيكون الصبر على التكذيب–. ثم {...وَأُوذُوا حتى أتاهم نصرنا ...(٣٤)}سورة الأنعام: جملة استئنافية– أي جملة جديدة– ، أو صبروا على الأمرين– التكذيب والأذى... {حَتَّى}: حتى هنا تابعة لـ{صبروا} وليس لـ{أوذوا}. فمعنى الآية: فصبروا على التكذيب والإيذاء، وظلوا صابرين متمسّكين حتى أتاهم النصر. قبل الصبر على الإيذاء ذُكر الصبر على التكذيب، وهذا أشدّ على الداعية الحَقّ؛ التكذيب أشد على نفسية الداعية من الإيذاء. ولذا قُدِّمت على الإيذاء، المرحلة الأولى التكذيب ثم الإيذاء في الترتيب؛ يكذّبك ثم يؤذيك... لكن الأشد على الداعية هو التكذيب. لو سيؤذيك ويؤمن قد يكون أحب إلى الداعية، لأنك من الممكن أن تصبر. ولذلك غفر أحمد بن حنبل للمعتصم السّياط التي كان يضربها له –لقوله كلمة الحق في مسألة خَلق القرآن– غفر له حقه بعد القتال الذي كان سببه نداء[وامعتصماه]، فغفر له أحمد بن حنبل هذه المظلمة والإيذاء، لأنه فعل خيرًا فتنازل عن حقه؛ مع أن المعتصم أصرّ على القول بخلق القرآن ولكن الإمام أحمد لم يتنازل عن القول بأن القرآن كلام الله.

فأنت أحيانًا قد تصبر على الإيذاء ولكن لا تصبر على التكذيب {...فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا...(٣٤)}سورة الأنعام؛ إذًا ليس أمامك حلاً إلا الصبر؛ أن تختار هذا الطريق، هذه سُنَّة.

{...رسل من قبلك...(٣٤)}سورة الأنعام:جاءت نكرة تفيدة التكثير، فهم رسل كثر؛ أنت لست الأول ولا آخر رسول يُكذَّب... فهذه الآية مثلما فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيها أيضًا: أن ليس لك عذر إن أنت توقفت عن الدعوة، لأنك تمشي في طريق ولستَ بِدعًا من الرسل فيه، أنت لست أول رسول يُكذَّب، فلما تذهب لتدعو الناس ثم تُكذَّب هذه ليست حجة لتتوقَّف،فهذا هو المتوقَّع. {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ...(٣٤)}سورة الأنعام هنا بالتأكيد، والتأكيد هنا أشد من {قَدْ نَعْلَمُ...(٣٣)}سورة الأنعام. جاءت معها لام القسم، لام وقد: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...(٣٤)}سورة الأنعام: فالداعية ليس أمامه حل إلا الصبر فلا يتعجَّل سنة الله. الصبر حتى ماذا؟ {...حتى أتاهم نصرنا...(٣٤)}سورة الأنعام،

النصر هو الذي أتى، بمعنى: الله عز وجل هو الذي يحدّد موعد النصر، الله وحده سبحانه وتعالى، فلا يتدخَّل في ذلك نبي مرسل ولا ملك مقرَّب... فحتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكرمُ الخلقِ على الله، الله عز وجل يقول له: ليس أمامك حل إلا أن تصبر حتى يأتي موعد النصر،متى؟ هذا أمر لله لا أحد يعرفه. لذلك لما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر للهجرة، ماذا قال له؟ قال رضي الله عنه: [أَوَؤُذِن لك؟]، هو يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم لايتحرَّك إلا بالإذن، نقلة الهجرة تحتاج إلى إذن، فيقول: هل جاء الإذن بأن ننتقل لمرحلة إقامة الدولة؟ أننا ننتقل بالمجموعة المؤمنة لإقامة الدولة المسلمة، هل جاء الإذن؟ هو يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم يتحرك بإذن، فمواعيد النصر يحدّدها الله عز وجل، مهما تعجَّلها المتعجِّلون.

- التعامل مع وعود الله

وكنا تكلمنا من قبل في أول درس –تقريبًا بعد رمضان– في مسألة الخطورة في التعامل مع وعود الله عز وجل. هناك أناس تتعجَّل الوعود وتقول: "نصرك الذي وعدت.. نصرك الذي وعدت"... فيُهزم فيشُكّ في موعود الله. وقلنا أن التدخل في وعود الله في الزمان وفي المكان وفي الكيفيَّة يؤدي إلى سوء ظن بالله. قاعدة خرجنا بها من الدرس: [[التدخل في وعود الله –سواءالزمانية؛ متى ينزل وعد الله؟ أو المكانية أو الكيفية– هذا من الممكن أن يؤدي إلى سوء الظن بالله – وخاصة لمن ليس لديهم بصيرة وفقه]] والأسلم ترك ذلك. 🌹🌹🌹

وقلنا مثال سيدنا أبو بكر لما ربنا قال: {غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ...}سورة الروم(٢-٤) ربنا قال: {بِضْعِ} سيدنا أبو بكر قال: ست سنين، تدخل في تحديد الزمان، فلما مروا الست سنين بعض المسلمين أساء الظن، قالوا ما هذا؟! إنما البضع من ثلاثة إلى تسعة، فأنت لا تتدخل، لما ربنا يقول: {بِضْعِ} اتركها بضع، لا تتدخل فيها.

{حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...(٣٤)}سورة الأنعام؛ لذلك ربنا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام، بعد هذه السُّنَّة لا بد أن تعرف أن {وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ

اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام، ما معنى {وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)} سورة الأنعام؟ لها معنى للمشركين، ومعنى للدعاة...

- بالنسبة للمشركين

مهما فعلتم وبذلتم من مجهود لإيذاء الرسل وتقتيل المؤمنين وصدّ الناس عن سبيل الله، كلمات الله ستتِم، قالوا هنا: كلمات الله: أي وعود الله، وعود الله بالنصر ستأتي، مهما كان ظواهر الأمر مختلفة عن الموعود، بمعنى قول الله عز وجل في المثال المشهور: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ(٤٥)}سورة القمر، سيدنا عمر بن الخطاب تعجب، أي جمع؟! وكيف سيولون الدُّبر؟ ونحن نُضرب بمكة مُستضعفين! فمهما كانت ظواهر الأحداث غير وعد الله، اعلم أن وعد الله هو الذي سيتحقق، ف{...وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام. تزيد أهل الإيمان قوةً وطُمأنينةً، وتُضعِف شوكة المشركين وتُوصل لهم رسالة: افعلوا ما بوسعكم! في آخر هود: {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}سورة الأنعام (١٢١-١٢٣) ربنا بيده الأمر كله، يُحدِّد ويدبِّر بحكمته ولطفه -سبحانه وتعالى- متى ينزل الأمر، لأن طوال سورة هود: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا...(٤٠)}سورة هود ، {جَاءَ أَمْرُنَا...(٤٠)}سورة هود، {جَاءَ أَمْرُنَا..(٨٢)}سورة هود طوال السورة الأمر مستمر في الإتيان، سواء الأمر بإهلاك قوم نوح، أوالأمر بإهلاك قوم صالح،أ و غيرهم، طوال السورة يأتي أمر بإهلاك أمة ، في آخر السورة أصبح المسلمون منتظِرين أمرهم، متى سيأتي؟ ما الذي سيحدث لقريش؟ فربنا يقول: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...(١٢٣)}سورة هود. هو الذي يعلم الغيب، وهذا غيب، {...وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ...(١٢٣)}سورة هود، ماذا أفعل إذًا؟ {...فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ...(١٢٣)}سورة هود. وإياك أن تظن أن ربنا في هذه المرحلة غافل عنك {...وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(١٢٣)}سورة هود، إياك أن تظن هذا.

مثل قوله تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ(٥١)}سورة الأنبياء، و هنا: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...(٣٣)}سورة الأنعام

إذًا المعنى الأول: {...وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام، مهما فعل أهل الباطل من إيذاء وتقتيل وتشريد وتعذيب، لن يغيِّروا كلمات الله؛ لأن الذي يُغيِّر كلمة أحد يكون أقوى منه، لو شخص أخذ قرارًا بقتل فلان أو بإعدام فلان أو بإسقاط فلان، هو أخذ قرارًا وقال كلمته وأعلنها، لكي يأتي شخص آخر يُغيِّر كلمته ويبدِّلها لا بد أن يكون أقوى منه ليغير كلمته، إما يكسر كلمته بالقوة، أو يجبره على تغيير كلمته، لكن الملك –سبحانه وتعالى– هو العزيز الذي لا يُغالَب، أي لا يستطيع أحد أن يبدِّل كلمات الله.

مسألة التبديل {...لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٦٤)}سورة يونس و{...وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام و{...فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا(٤٣)}سورة فاطر، هذه كنا تكلمنا عنها في مسألة الوعود "درس الوعود"، وممكن– إن شاءالله – نُفرد درس عن مسألة: "سنن الله سبحانه وتعالى"، وكان العلماء تكلموا في مسألة: ما الفارق بين "تبديل الكلمات" و"تحويل الكلمات"؟

كمثال سريع: يقولون: تبديل كلمات الله أن ربنا لما يأمر بكلمة العذاب على قوم–تلك كلمة– أن تتبدل من كلمة عذاب لكلمة نعيم، لا أحد يستطيع أن يجعل العذاب نعيمًا.

التحويل: أنه يحوِّل هذا العذاب من هؤلاء القوم إلى قوم آخرين، أي لو ربنا قضى بالشَّقاء على بلد –والعياذ بالله– أنزل سخطه على بلد، لن يستطيع أحد كائنًا من كان أن يبدِّل هذه الكلمة ويحوِّلها مِن سخط إلى نعيم، ولو تبرَّعوا لها من كل الدنيا وجمعوا لها مالًا، لن يتبدل العذاب بنعيم ؛ لأن القضية ليست قضية مال. أما التحويل: فلا يستطيع أحد أن يُحوِّل هذه الكلمة كلمة السخط هذه ويذهب بها بعيدًا–لمكان أو قوم آخرين، لا أحد يقدر أن يفعل ذلك إلا الله.

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في وباء في المدينة فدعا ربنا –سبحانه وتعالى– أن يرفع الوباء من المدينة وينقله للجُحفة –قريب من المدينة– فحَوَّل الله الوباء من المدينة إلى الجحفة، هذا تحويل. سنن الله لا تُبدَّل ولا تحوَّل، لا مبدل لكلماته –سبحانه– {...وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام.والدليل على هذا: {...وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ(٣٤)}سورة الأنعام، الدليل على ماذا؟ نبأ المرسلين هذا على ماذا يدل؟ هذا دليل على

المنظومة كلها؛ دليل على أن هناك رسل جاءوا من قبلك وكُذِّبوا وأوذوا، وفي النهاية جاء النصر، ومهما حاول خصومهم لم يستطيعوا تغيير النصر، كل هذا دليل على ماذا؟ دليل على أنه لا مبدل لكلمات الله {...وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ(٣٤)}سورة الأنعام.

هذه الآية: {...وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام. تحمل معنيين: معنى للمشركين .

- ومعنى للدعاة

بالنسبة للدعاة: {...وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...(٣٤)}سورة الأنعام. أي أنك لو حاولت اختيار الطريق القصير، فأنت هكذا تبدّل كلمة الله في الأمة الخاتمة. وهذا الطريق القصير ماذا نقصد به؟ معناه آية حسّية ضخمة، إن لم يؤمن الناس، ينزل العذاب الكلي الاستئصالي، ولكن الله قضى عز وجل بكلماته: {...وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ...(١٩)}سورة يونس. هذا المعنى تكرَّر كثيرًا وخاصة بعد سيدنا موسى، {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} تكرر في (يونس١٩) وآخر (هود١١٠) وفي (طه١٢٩) وفي (آل حم) مرتين.فصلت٤٥ – الشورى١٤، تكرر كثيرًا جدًا. فمسألة: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ}، أي أن كلمة الله اقتضت أنه ليس هناك عذاب استئصالي من بعد نزول التوراة، فلا مبدل لكلماته –سبحانه– فمهما تعجَّل الدعاة فإنه ليس أمامهم غير: {...فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...(٣٤)}سورة الأنعام، ليس أمامهم غيرها. أي أن الاختيارين اللذين كانا أمامك أصبحوا اختيار واحد فقط، لم يتبقَ سوى اختيار واحد، وهو الصبر، لذلك بعد مقدمة: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ...(٣٣)}سورة الأنعام. والآية التي بعدها –التي تبين سنة الله في أرضه–: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ...(٣٤)}سورة الأنعام. ماذا لو لم تقتنع بهاتين الآيتين؟... جاءت الإجابة بـ(إنْ) فحاشاه– صلى الله عليه وسلم – أن يفعل هذا وألا يقتنع، ولذلك جاءت {وَإِنْ كَانَ...(٣٥)}سورة الأنعام. "إن " شرطيَّة تفيد تقليل حدوث الفعل؛ مثَلا أنا في انتظار حضور محمد، إن كنت واثقًا من حضوره ماذا سأقول؟ "إذا" جاء محمد فقل له كذا، وإن كنت واثقًا بنسبة كبيرة أنه لن يأتي ماذا سأقول؟ "إن" جاء فقل له كذا.. إذًا؛ هناك فرق بين "إذا" و"إن"..."إذا" للتكثير، و"إن" للتقليل أو العدد، فهنا جاءت مع النبي صلى الله عليه وسلم {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ...(٣٥)}سورة الأنعام؛ لأن

النبي صلى الله عليه وسلم لن يحدث معه هذا، لذلك قال الله –سبحانه وتعالى–: {وإن}، ولم يقل: "وإذا".

إن لم تختر الحل الأول، فليس أمامك اختيار سوى ماذا؟ سوى كسر السنن، فلتأتهم أنت إذًا بآية، الله لن يغير سنته في الأرض، فغير أنت السنة، تصرف أنت!، وبما أنك لن تستطيع كسر السنن، فليس أمامك حل سوى ماذا؟ سوى الصبر، لذلك الذي سيحاول كسر السنن سيكون من {الْجَاهِلِينَ} أي الجاهلين بسنة الله، لذلك يقول بعض المفسّرين: {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٥)}سورة الأنعام. أي بسنة الله في عذاب قومك، فعذابهم له سنن.

{وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...(٣٥)}سورة الأنعام.الذي لن يفهم الآيتين: {قَدْ نَعْلَمُ} و{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ} آية (٣٣) و(٣٤) سوف يَكبُر عليه إعراض قومه.

الشخص الذي لم يتشرَّب بمعاني هاتين الآيتين ولم تستقر هذه المعاني في صدره وفي كيانه وفي شعوره، سيأتي ليدعو قومه، فيقابلونه بالتكذيب، هذا الشخص عندما يأتي لإنذار قومه سيُفاجأ بتكذيب، ويقول: ما هذا؟ لقد كبُر عليّ إعراض قومي، كبُر عليّ: أي شقَّ عليّ، لن أستطيع الاستمرار في الدعوة هكذا، لن أستطيع أن أكمل بسُنة: {...فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...(٣٤)}سورة الأنعام

لن أستطيع السير في طريق الإصلاح، لقد كبُر عليّ الإعراض! بما أنه قد كبُر عليك إعراضهم فماذا ستفعل؟ ليس أمامك إلا أن تتركهم وتذهب، فيُقال عنك: {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ...(١٤٠)}سورة الصافات. مثل سيدنا يونس، أو أن تدعو بآية أن تنزل عليهم فتهلكهم، فلو نزلت عليهم آية بالفعل فستكون بهذا تستعجل هلاكهم، فأنت تعلم أنهم ما يزالون على عنادهم.

{وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ "فَإِنِ" اسْتَطَعْتَ...(٣٥)}سورة الأنعام. أيضًا جاءت للتقليل والشك، لن تقدر {...فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ...(٣٥)}سورة الأنعام. وتكملةجواب الشرط:أي فلن تستطيع، أو فافعل... {...فَإِنِ

اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ...}سورة الأنعام. فافعل ولكنك لن تستطيع.

لذلك الله –سبحانه وتعالى– يقول: {...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٥)}سورة الأنعام. فلا تكونَنَّ من الجاهلين أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى، فلا تكونن من الجاهلين أن هناك سنة وهي: أن رسل مَن قبلك كُذِّبوا فصبروا {فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...(٣٤)}سورة الأنعام. الذي سيجهل هاتين الآيتين سيقع فيما بعدها، هذه قاعدة.

وقيل أن هذه الآية من أكثر الآيات اللي تبيّن مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على قومه، أي أنه لو كان في مقدوره وكُلِّف شرعًا أن يأتي بسلم ويصعد إلى السماء أو يشق نفقا في الأرض ليُهدى قومه لفعل ذلك، انظر إلى شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على قومه، وقلنا أن هذه من مقوّمات الداعية، إذا غابت منه سيفقد أهم ركن من أركان الداعية؛ [[الحرص على إيمان قومه]]... من أهم أركان الدعوة: شدة الحرص على إيمان قومه.

- مشكلة الناس الحقيقية من اجتهادات الدعاة

إذًا، الله –سبحانه وتعالى– يدلنا على أن مشكلة الناس ليس في عدم الاقتناع، إذا قرأت عليه القرآن، وأوهمك أنه يستمع وقال: {...إن هذا إلا أساطير الأولين(٢٥)}سورة الأنعام، وفهمت أن مشكلته الحقيقية ليست في الاقتناع، هو ما زال يقول لك: أنا لست مقتنع أنا أريد آية، لو الداعية صدّقه ستجد الدعاة مشغولون بنفق الأرض وسلم السماء! وهذه مصيبة؛ ماذا لو انشغل الدعاة إلى الله بنفق الأرض أو سلم السماء؟! تخيَّل أن الدعاة يركّزون أنهم يعملوا حركات للناس حتى يؤمنوا، ما الذي سيحدث؟ ستجد الدعاة يبتعدون عن آيات القرآن ويزيدون في الحركات، كلما يزيد في هذه الحركات كلما الناس لا تؤمن!، فيعتقد إن المشكلة في الحركة التي يعملها ليست كافية، فيزيد، كلما يزيد يبتعد هو عن آيات القرآن–التي لم يؤمنوا بها في أول الأمر،– لذلك ربنا قال له في نفس السورة: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ

مَرَّةٍ...(١١٠)}سورة الأنعام. طالما لم يؤمن بالقرآن أول مرة مهما عملت له أي شيء ربّنا سيُقلّب له بصره وفؤاده ولن يقبل.

فإذا انشغل الداعية بنفق الأرض وسلم السماء وأن يأتي بأفعال ويحاول أن يتفلسف ويحاول أن يعمل حركات زائدة، بعيدًا عن آيات الله –لست بالطبع أعني الجهد في الدعوة– مثل جهد تبسيط آيات الله وتوصيل آيات الله للناس هذا مطلوب، مثلًا الوسائل الموضّحة لآيات القرآن هذا مطلوب، وأن نبذل جهدنا فيها هذا مطلوب، وكلما نستطيع بسطنا واستعملنا كل الوسائل التي يكتشفها الإنسان لتبسيط الدين للناس هذا مهم جدًا، لكن أنا أتكلم عن الدعوة بعيدًا عن آيات القرآن... وهذا أحد معاني قول الله عز وجل في سورة الحج: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...(٥٢)}سورة الحج. قيل {تَمَنَّى} أي تمنى إيمان قومه، عندما يشتد حرصه على إيمان قومه ويحرص عليهم جدًا، الشيطان يستغلّ هذا، ماذا يقول له؟ تريد إيمان قومك تغاضى عن هذه الآية لأنها ثقيلة عليهم، تريد أن يستمعوا إليك؟ فتقول: لابأس أتغاضى عن الآية ، امسح هذه الآية، ثم امسح هذه أيضًا، حاضر، امسح هذه، امسح تلك! هذا الداعية لم يفعل ذلك طلبًا لدنيا –أنا لا أتكلم عمن يطلب دنيا– ربنا يقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى..(٥٢)}سورة الحج. هذا يكون بالنسبة للشيطان مدخل واسع، {...أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...(٥٢)}سورة الحج ركّز في كلمة"ألقى في" ؛ معناها وجد مكان واسع استطاع أن يدخل منه، أنا أتكلم على إنسان من شدة حرصه على قومه قد يغيّر في الشريعة!

لذلك القرآن يجعل عند الداعية توازن نفسي، يربيه تربية نفسية، مسألة الإيمان هي بيد الله، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي..(٥٦)}سورة القصص. واضحة المعنى في هذه الآية، وغيرها من الآيات مثل {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى...(٣٥)}سورة الأنعام، و{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ...(١٠٠)}سورة يونس، وواضحة أكثر في القصص: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...(٥٦)} سورة القصص. معناها أن أقرب الناس إليك وقد يكون دَافع عنك لا تستطيع هدايته! {...وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...(٥٦)}سورة القصص. هذا إذا ترسَّخ في قلب الإنسان الإيمان.

لذلك بعد هذه الآيات {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ...(٣٥)}سورة الأنعام و{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...(٣٦)}سورة الأنعام .تأتينا آية (٤٨){وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا...(٤٨)}سورة الأنعام.

ما هي وظيفة المرسلين؟ {...مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...(٤٨)} سورة الأنعام.هذه هي الخلاصة! {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...(٤٨)}سورة الأنعام. هذه وظيفتك فقط، ليست وظيفتك نفق في الأرض أو سلم في السماء، وبعد أن قال له: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...(٤٨)}سورة الأنعام، {قل}: ليس عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أنا ملك ولا عندما تستمعوا لكلامي سيصبح عندكم خزائن ذهب، لا لا، ولا في مائة يوم سأجعل حياتكم نعيم، أنا مُرسَل من الله مبشِّر ومنذِر، أبلغكم أنه عندما تفعلون كذا، سيكافئكم الله بكذا، أو إذا فعلتم كذا سيعاقبكم الله بكذا... لست أنا، لذلك جاءت هذه المرة بصيغة الحصر والقصر: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...(٤٨)}سورة الأنعام، فهناك {فَمَنْ آمَنَ...(٤٨)}سورة الأنعام. وهناك من كفر.

{وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ٣٥)}سورة الأنعام، قال أغلب العلماء: أن الجهل هنا ضد العلم. فالجهل يحمل معنى من اثنين: إما الجهل ضد العلم، أو الجهل ضد الحِلم. يقولون: تَجَهَّلت القِدر؛ أي ظلت تفور وتغلي، وتحلَّمت؛ أي أنه مهما تزيد النار تحتها لا تهتز. فهناك جهل ضد الحِلم، وهناك جهل ضد العِلم.

أغلب المفسّرين قال: {...فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٥)}سورة الأنعام: هي ضد العلم؛ وهذا ليس فيه إنقاص لقدر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم ذلك، والآية بدأت بـ{وَإِنْ كَانَ...(٣٥)}سورةالأنعام.فالله سبحانه يقول: من يمشي في هذا الطريق هو جاهل، وبما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمشِ في هذا الطريق، واختار طريق الصبر –وهو الطريق الطويل– فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يُخاطب بهذه الآية.

عدم فهم سنن الله في الإيمان والكفر والاستجابة للآيات جاءت مرتين، خاطب الله سبحانه النبي هنا– في سورة الأنعام –وسيدنا نوح هناك– في سورة هود–: {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ...(٤٦)}سورة هود، وهنا: {...فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٤٦)}سورة هود. فهناك كان

سيدنا نوح يعتقِد أن ابنه من أهله: فقال الله له {...إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...(٤٦)}سورة هود، أهلك هم الذين كُتب لهم النجاة، فليس لأنه ابنك سينجو، لا.

وهنا في الأنعام خاطب الرسول صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآيات الحسية فقط لن تجعلهم يؤمنوا. وهذه نقطة خطيرة يجب على الإنسان أن يفهمها. فبعضهم قال: الجهل ضد العلم. والمعنى الآخر: الجهل ضد الحِلم. {...فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٥)}سورة الأنعام: أي: لا تجعل إعراضهم يكبُر عليك... بداية الآية: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ...(٤٥)}سورة الأنعام، فأنت –من البداية– لا تجعل الموضوع ثقيل على صدرك؛ حتى لا تصل لهذه المرحلة. {...فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٥)}سورة الانعام. بمعنى: احلُم عليهم واصبر عليهم. {...فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٥)}سورة الأنعام.

القاعدة هنا: ليس من المفترض أن تصعد السماء وتنزل الأرض وتتعب نفسك، وتأتي بآيات في القرآن لا تتحمل إعجازا علميا –على حد التعبير المعاصر– وتُلبّسها لباس اكتشاف معاصر؛ حتى تجعله يؤمن، وتغيّر في الآيات، وتأتي بحديث منكر موضوع فقط لأن فيه جزء مقنع سيُعجبهم وتقوله، فأنت تفعل كل هذا من شدة حرصك على الناس!!!

لذلك يمكن أن نشبِّه الدين بقصر له أبواب،[وهذا المثل من أكثر الأمثلة التي سمعتها في بداية التزامي، وأثرت فيّ في فهم مسألة أن هناك من الناس من يتشدد وهناك من يتساهل، والدين الحق وسط] الدين مثل القصر، وهناك ناس في الخارج، ونحن نتمنى أن نُدخلهم هذا القصر، نريد أن ندخلهم الدين. فالقصر له أبواب، سيد القصر أمر أن تظل بعض الأبواب مفتوحة، وأن يتم غلق بعض الأبواب الأخرى. فأنت –من شدة حرصك على دخول الناس للقصر– تنادي: افتح، افتح. فشخص آخر قال: لا، هذا الباب مغلق. فتقول له: لا، افتح الآن... فالمهم أن يدخلوا بأي طريقة،و هناك شخص آخر يقول: أغلق، أغلق، أغلق... لماذا يقول أغلق؟ لأن الناس كلهم سيدخلون بهذا الشكل، ولا يجب أن يدخل أي أحد!

فهناك بعض الناس يغالون في مسألة سد الذرائع ويتشدَّدون، ويغلقون أبوابا لم يأمر الله عز وجل بإغلاقها، وهي من المباح. فيأتي شخص بوسيلة معينة لنشر الدين، يقال له: لا. لماذا رغم أن

الوسيلة مباحة؟ فيقال: هذه يمكن أن تفعل كذا وكذا. لكن ليس هناك دليل شرعي أن هذه الوسيلة ستكون ذريعة، فنحن لدينا شيء اسمه [سد الذرائع]، لكن هذه الوسيلة ليست ذريعة لكذا! فيقال لك: أغلق فقط!!!

فهناك من يتعامل أن الوسائل الدعوية توقيفية، لكن الوسائل ليس توقيفية! الوسائل يجب أن تكون شرعية، لكن لا يجب أن تكون قد طبقت سابقا. فلو أني أريد –مثلا– أن أقوم بعمل "باور بوينت" وأعرضه للناس، ليس هناك مشكلة في ذلك... ولذلك لا نريد أن نتشدَّد ونغلق أبوابا لم يأمر الله عز وجل بإغلاقها، وفي نفس الوقت لا نريد أن نتساهل، فنفتح أبوابا أمر الله عز وجل بإغلاقها.

فأنت من البداية لا بد أن تكون وسطًا، فربنا يعطيك القاعدة حتى لا تكون من الجاهلين: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...(٣٦)}سورة الأنعام؛ اعلم ملخَّص الموضوع كله أنك ستجلس تكلمهم، ولن يؤمن بك إلا الذي سيسمع بحق، لا الذي يتظاهر بالسماع ؛ لأن ربنا قال: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ...(٢٥)}سورة الانعام. قلنا إن هذا قد جاء ليجادل، لم يأتي ليسمع بحق، لكن{ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...(٣٦)}سورة الأنعام، الباحثون عن الحق يوفقهم الله عز وجل للحق... هذا المعنى مطَّرد في القرآن بكثرة، {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا(٤٥)}سورة النازعات، وكذلك {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى(١٠)}سورة الأعلى، هذا ورد كثيرا جدًا أنك "تُنذر الذين يخافون"، وهنا في نفس السورة: {وَأَنْذِرْ بِهِ...(٥١)}سورة الأنعام. أي بالقرآن، مَنْ؟ {...الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ...(٥١)}سورة الانعام.كثيرا ورد هذا المعنى في القرآن {...وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(٩٢)}سورة الأنعام. أيضًا معنا في سورة الأنعام، إذًا الذين لا يؤمنون بالآخرة هو الذي لن يؤمن أصلًا...فمسألة الخوف من الدار الآخرة، هذا يؤدِّي به أن ينصت لينجو، هذا الشخص الذي سيصِل إلى الحق؛ {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...(٣٦)}سورة الأنعام، والذي لن يسمع؟ الذي لن يبحث عن الحق؟ هذا ربنا سماه ميّت؛ هذا كأنك... تخيل لو أنت أحضرت سلمًا يصل

للسماء وحفرت نفقا في الأرض وتريه لواحد ميت، لن يستفيد منه شيئاً، مهما أنت فعلت له لن يستفيد، لأنه ميت أصلًا، مهما شاهد هو ميت!، ميت أي أن مستقبِلاته الحسية ماتت فلم تعد تؤثر فيه!، فلما تموت مستقبِلات اليد الحسية ثم تضع عليها شيئًا ساخنًا لا تشعر، تضع عليها شيئًا باردًا لا تشعر.

فمهما غيَّرت في الآية قلبه لم يعد يشعر، مستقبِلات قلبه ماتت {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ...(١٤)}سورة المطففين. لما قال: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٣)} لمَ قال أساطير الأولين؟ هذه الآيات تهز جبل، لمَ الآيات حين تنزل على قلبه لا تهزه؟! {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ..(١٤)}سورة المطففين. المستقبِلات ماتت، أصبح هناك جدار عازل، {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(١٤)}سورة المطففين؛ الذي كانوا يكسبونه من الشهوات والمعاصي أحدث جدارًا فولاذيًّا، آيات القرآن تنزل لا تؤثر فيه، فأصبح ميتًا؛ لذلك {وَالْمَوْتَى} عكس {الَّذِينَ يَسْمَعُونَ}، نحن قلنا أول جريمة أنه كان لا يسمع: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ(١٠)}سورة الملك.

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(٣٦)}سورة الأنعام. هذه الآية الجمال الذي فيها أنها جاءت مفتوحة، تحتمل أكثر من معنى، هل المعنى {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى(٣٦)}سورة الأنعام. أي الذين لم يقبلوا الشرع فأصبحوا ميتين {...يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ...(٣٦)}سورة الأنعام. أي أن الله قادر على هدايتهم، وأن هدايتهم مثل البعث... واضح؟ هذا معنى، كأن ربنا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: الناس الذين لم يؤثر فيها القرآن موتى، والحل معهم البعث، والبعث لا يكون إلا بيد الله، ليس بيدك، فليس حلّ هؤلاء عندك.

لذلك أحد معاني قول الله عز وجل في سورة الرعد: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(٧)}سورة الرعد. قيل: هو الله، أي أنت منذر ولكن الله هو الذي يهدي من يشاء، –كما سيأتينا الآن إذا أكملنا–: {...مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٣٩)}سورة الأنعام، هذه فقط لله.

إذًا {...وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ...(٣٦)}سورة الأنعام قيل: الموتى الذين لا يسمعون يبعثهم الله، الله قادر على هدايتهم، وبعدما يهديهم يرجعوا له... وقيل: {...وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ...(٣٦)}سورة الأنعام. أي الموتى الذين لم يرضوا أن يسمعوا القرآن سيظلون موتى إلى أن يموتوا، ولن يفيقوا إلا عند البعث. أي المعنى الثاني :أن هناك ناس سيظل مختومًا على قلوبهم إلى الموت، إذًا معنى الآية الثاني: {وَالْمَوْتَى} أي والذين لا يسمعون القرآن هم كالموتى، وهؤلاء سيظلون موتى لا يتأثرون بالقرآن إلى أن يموتوا، ثم يبعثهم الله فيُوقِنوا أنه الحق، سيظل مكذِّبًا إلى أن يُبعث، {...وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(٣٦)}سورة الأنعام.

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...(٣٧)}سورة الأنعام. مرة أخرى؟! بعد كل هذا؟! وأنا أقرأ هذه الآية لاحظت أن موقعها عجيب جدًا! أحس أن الواو في كلمة (وقالوا) كأن معناها: وبعد كل هذا يقولون: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...(٣٧)}سورة الأنعام. ألا تفهمون! منذ بداية السورة، مع أن أول آية بعد المقدمة –الثلاث آيات الأول– قال تعالى: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٤)}سورة الأنعام. قالوا نريد آية، قلنا لهم تأملوا الآيات الحسّية والناس الذين أهلكوا قبلكم؛ {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ..(٦)}سورة الأنعام. لا فائدة... نريد كتابًا! {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ(٧)}سورة الأنعام. أو مَلَكًا! الملَك لا ينفع معهم، لماذا لا ينفع؟ لأننا لو نزلناه ملكًا وتركناه على هيئته {...لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ(٨)}سورة الأنعام، ولو جعلنا الملك بشرًا {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ(٩)}سورة الأنعام. لن تصدقوه، أنتم لم تصدقوا البشر فكيف ستصدقون الملَك الذي في صورة بشر؟! بعد هذا كله طلبوا آية مرة أخرى!!!

فموقع هذه الآية عجيب، لذلك العلماء وقفوا عندها، هل هذا شوط جديد؟ أي هل هذا نقاش مع أناس آخرين؟ بهذا يصير عندنا صنفان من الناس: صنف يقول: حسنا أنا أصدق أن القرآن هو الآية، يذهب ويستمع للقرآن فيقول عنه أنه أساطير الأوَّلين، وهو من البداية لم يكن همه طلب آية ولا دليل، إنما يريد أن يثبت أن القرآن أساطير الأولين، لماذا؟ لأنه يعلم أن القرآن

حق. وصنف آخر هو أساسًا مُعرِض، لا يسمع القرآن، فهو لم يعرف أن القرآن حق ولم يعرف أي شيء عنه، همّه أنه لا يريد أن يغير الأوضاع التي هو فيها.

وبهذا هناك صنفان من الناس: صنف السادة المَتبُوعين أو القادة، هؤلاء يفكرون ويفهمون، مثل أبي جهل، هؤلاء يعرفون أن القرآن حق، ويعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق؛ ولهذا بعض المفسرين قال في قول الله عز وجل: {...فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ(٣٣)}سورة الأنعام. قال هؤلاء القادة المَتبوعون وليس الأتباع، الأتباع لا يجحدون بآيات الله بل إنهم لا يسمعون الآيات أصلًا فهم معرضون، أما القادة فإنهم كانوا يذهبون ويستمعون مثل الوليد بن المغيرة وأبي جهل كانوا يستمعون ويعلمون، لكنهم جحدوا الحق.

إذا أردنا إسقاط هذه الآيات على الواقع، ليس كل الغرب الكافر الآن يعلم أن القرآن والإسلام حق ويجحد، بل منهم المعرِض الشهواني أصلا، ومنهم من يعرف الحق وينكره. بعض الناس قالوا: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...(٣٧)} سورة الأنعام.حالة من اثنتين: إما أنهم كانوا يكرّرون هذه الشبهة كل فترة، فالرد كان يتنوّع عليهم، لما قالوا: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ...(٨)} سورة الأنعام.كان هناك شوط من الردود حتى قوله تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ...(١٩)}سورة الأنعام. إذا كنتم تريدون آية فليس معي إلا القرآن. وبعضهم قال: في البداية حدَّدوا الآية: كتاب في قرطاس أو مَلك، هنا ماذا قالوا؟ حسنا سنتساهل معك، ائتنا بأي آية {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...(٣٧)}سورة الأنعام. كأنه يتناقش نقاشا موضوعيا، أنا سأتنازل، لا أطلب كتابا في قرطاس ولا أطلب ملكًا، هات لنا أي آية؛ لذلك هنا الرد كان مختلفا عن الرد السابق، ناقشهم في الآية المعيَّنة التي طلبوها، هناك طلبوا آية معيّنة أن ينزل ملك فناقشهم في فكرة نزول الملك، وأن نزول الملك حالة من اثنتين: إما ينزل على صورته، وإما أن ينزل في صورة بشر، وناقشنا مآلات كل اختيار من هذه الاختيارات.

هنا طلبوا آية، فكان الرد عامّا: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً...(٣٧)}سورة الأنعام. ربنا سبحانه وتعالى قادر على أن ينزّل أي آية، {... أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٣٧)}سورة الأنعام. ولو كنتم تريدون مجرَّد آية فالحيوانات حولكم كلها آيات، والطيور

كلها آيات، كل شيء حولكم آية، {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...(٣٨)}سورة الأنعام،كما قال تعالى {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٢١)}سورة الذرايات، كل ما حولك آيات، تريد آية على ماذا؟ على البعث؟ هو الذي خلق كل هذا أليس بقادر على أن يخلق مثلهم ويبعثهم مرة أخرى؟!

ولو قلنا أن السياق هكذا: هات لنا أي آية، فرد عليهم: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ..} الآية (٣٨) ردت بأمرين: عندكم الآيات الكونية تملؤ الدنيا {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...(٣٨)}سورة الأنعام. {..مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...(٣٨)}سورة الأنعام. المفسّرون اختلفوا: إما أن الكتاب هنا هو القرآن، وإما أن الكتاب معناه اللوح المحفوظ؛ فمن رأى أن الكتاب هو القرآن، قال أن الآية (٣٨) ردَّت الرد المُفحِم وهو أنكم لديكم آيتان عظيمتان: كتاب الله المنظور وكتاب الله المقروء، آيات الله الكونية وآيات الله التشريعيّة، عندكم الكون من حولكم وعندكم القرآن، تدبَّروا في الكون وتدبَّروا في القرآن وستجِدون ما لا يُحصى من الآيات، ألستَ تريد آية واحدة؟ أنت إذا نظرت إلى أي طير فوقك أوفي أي دابة أوفي أي شيء حولك ففيها آيات، ولو نظرت في القرآن: {...مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...(٣٨)}سورة الأنعام ؛ أي ما فرَّطنا في الكتاب من شيءٍ يدلُّ على الهداية.

عندما يقول أحد: {...مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...(٣٨)}سورة الأنعام. الكتاب المقصود به القرآن؛ فيستدل بهذه الآية أن القرآن فيه كل شيء، فيقول أحدهم: أين الفروع الفقهية في القرآن؟ أين الأشياء الدنيوية؟ وتفاصيل مسائل؟ وأين علوم الحسابات والفلك والرياضة؟... بعضهم رد: موجودة كإشارات من أين نأتي بها؛ كما قال ربنا: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ...(٤٣)}سورة الأنعام. ذلك يعلمك أن أي شيء تأخذه من أهل الذكر، فأهل الحسابات وأهل الرياضة والفلك تلك من أين تأخذها؟...من أهلها؛ وهناك أيضا آيات مثل {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ(٥٩)}سورة النساء. وفيها اتباع السنة، فكل الفروع الفقهية موجودة في السُنة، القرآن فيه الأصول العامة وفيه بعض الفروع.

وبعضهم قال: لا. {...مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...(٣٨)} سورة الأنعام.هذه آية واحدة تتكلم أن الكون حولنا كله مليء

آيات، وكل هذه الآيات سطَّرها الله عز وجل في اللوح المحفوظ، فكل شيء ستكتشفه وستعرفه هو أصلًا مُسطَّر في اللوح المحفوظ، يعلمه الله عز وجل {...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ...(٢٥٥)}سورة البقرة.

إذًا الذين قالوا معنى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...(٣٧)}سورة الأنعام؛بأي آية، فربنا قال لهم: لو على مسألة الآية الحسيَّة ربنا قادر على أنه ينزِّل آية حسيَّة، لكنكم جهلة، ولماذا أنتم جهلة؟ لأنكم لا تتدبرون الكون حولكم ولا تتدبرون القرآن.

العجيب هنا– وهذا شيء ما زال يحتاج تأملًا–، أنهم في المرة الأولى لما قالوا: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ...(٨)}سورة الأنعام وهنا: { وقالوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...(٣٧)}سورة الأنعام. هذان الطلبان يأتي بعدهم نقاش، أي سيحصل الآن نقاش طويل، {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ...(٤٠)}سورة الأنعام، {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا..(٤٩)}سورة الأنعام، سيأتي نقاش، وهناك أيضا حدث نقاش طويل. إنما عند آية: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)} سورة الأنعام.الآية التي بعدها مباشرةً: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ...(٢٧)}سورة الأنعام. لا يوجد نقاش، مباشرةً تخويف بالعذاب.

كنا ذكرنا قبل ذلك أحد القواعد: عليك أن تُفرِّق بين الذي يسأل؛ هل هو من القادة السادة المتبوعين الفاهمين ويجحد؟ فهذا مباشرةً تخوِّفه بالعذاب. أم هو من الأتباع الضعفاء السُّذَّج الذين لا يسمعون؟ فهذا تناقشه وتفهمه.

وقلنا أشهر مثالين موجودين بسورة واضحة... بأي سورة؟ الحج؛ لما قلنا: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ(٣)}سورة الحج. هذا يتبع كل شيطان، هذا تابع لأي حد، فناقشناه؛ {...إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ...}سورة الحج. الثاني: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ

(٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ...(١٠)}سورة الحج تخوّفه مباشرةً.

فهنا عندما عادوا لطلب آية كأن النقاش عاد ثانيةً مع مَنْ؟ مع الأتباع الضعفاء، فالقرآن يعطي اهتمامًا كبيرًا لهؤلاء، هؤلاء الذين فيهم أمل، الثاني: جاحد محتاج تخويف، الثاني يعلم أن ماتدعوه إليه هو الحق.

لذلك بعضهم قال كلمة جميلة جدًّا في آية (٣٩): {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ...(٣٩)}سورة الأنعام. قال: {صُمٌّ} هذا الفريق الأول المعرض الذي لا يريد أن يسمع أصلًا، هؤلاء هم الضعفاء السُّذَّج، الذي هو أصلًا {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٤)}سورة الأنعام، وهذا ترتيب السورة؛ بدأت بالذين كانوا معرضين... {وَبُكْمٌ} الذي يعلم الحق ولا يريد أن يقوله؛ {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ...(٢٠)}سورة الأنعام الفريقين في الظلمات، الفريق الأول: "الصم" الذي لا يريد أن يسمع الحق، لا يريد أن يسمع أصلًا، مُعرِض عن أي آية، والفريق الثاني: "البكم" الذي يعلم ولا يريد أن يتكلم بالحق.

نكتفي بهذا القدر، ونكمل إن شاء الله المرة القادمة؛ كيف ناقش القرآن هؤلاء؟ وتكملة الآيات الكونية التي أتى لهم بها، ووضعهم داخل آيات كونية معينة ليضطرهم إلى الإيمان بالله –سبحانه وتعالى–.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.